

تاريخ الفن الإسلامي

المرحلة : الثالثة

قسم : الفنون التشكيلية

العناصر الزخرفية في الفن الإسلامي :

ان العناصر الزخرفية في الفن الإسلامي هي أربع عناصر :

1. العناصر النباتية (الزخارف النباتية) .
2. العناصر الهندسية (الزخارف الهندسية) .
3. العناصر الحيوانية (الزخارف التي استعملت الكائنات الحية) .
4. العناصر الكتابية (الزخارف الكتابية) .

1. العناصر النباتية (الزخارف النباتية) :

استعمل الفنان المسلم في هذا النوع من الزخارف السيقان والأوراق وصورها مما أضفى عليها مسحة هندسية تؤشر نزوع الفنان المسلم الى التجريد أولاً ، ثم لفرط التجريد حتى يصبح الشكل أشبه بالرمز لاحقاً ، ويعد الرقش العربي أو ما يعرف بـ(التوشيح) أجمل ما عرفه الفن الإسلامي من زخارف نباتية .

اعتمد الفنان المسلم في إنتاجه للزخارف النباتية وخاصة الرقش العربي على مبدأ التناسق ، ويقوم هذا المبدأ على نظرية التعانق أو التشابك ، ان التعانق أو التشابك في الفن الإسلامي له مظهران :

الأول : وفيه يكون التعانق منفرداً ويقتصر على غصن واحد يعتمد الفنان المسلم الى جعله متموجاً .

الثاني : وفيه يكون التعانق مزدوجاً ، اذ يلتقي غصنان ثم يعتمد الفنان المسلم الى جعلهما يفترقان بعد تقاطع خط سير كل منهما .

ويتمادى الفنان المسلم في رسم هذا النوع من الزخارف الى رسم الأشكال النباتية ، ثم يملأ الفراغات المتبقية برسم أشكال أخرى من أزهار وثمار بحيث تبدو أنها منبثقة من تلك الأغصان مراعيًا تناسقها من حيث الحجم فضلاً عن جعلها تقع في سياق التقابل والتعارض على أساس مبدأ التماثل .

الترزم جميع الفنانين المسلمين في مبادئ أساسية في إنتاجهم للرقش العربي رغم اختلافهم في أشياء أخرى ، وهذه المبادئ هي :

- تنسيق الأشكال النباتية .
- تكرار التموجات الخطية .
- تكرار تعانق الأغصان والفروع .
- إملاء الفراغات بشكل تام .
- تماثل العناصر والمجموعات على اعتبار أن التماثل مبدأ أساسي في الرقش العربي مع العناصر الأخرى .

2. العناصر الزخرفية الهندسية (الزخارف الهندسية) :

استعمل الفنان المسلم في هذا النوع من الزخارف أشكالاً هندسية مختلفة كالجداول والصليب المعقوف والأشكال النجمية ، فضلاً عن أشكال أخرى تولدت من تكرار أجزاء هندسية اعتماداً على مبدأ التكرار الذي يكون الى الأعلى والأسفل واليمين واليسار أو باتجاه الأقطار (قطري) ، ويبدو أن أغلب هذه الأشكال كانت معروفة قبل الإسلام في حضارات العراق القديم ومصر القديمة أو في الفنون البيزنطية ، وقد استعملت مثلاً في الجامع الأموي بدمشق في نوافذه الست دوائر متشابكة وأشكالاً مضلعة ومفصصة .

وفي العصر العباسي استعمل شكل الصليب المعقوف في البوابة في الرقة إذ استعملت (4) زخارف للصليب المعقوف حفرت بالأجر فضلاً عن اشكال مربعة وأخرى معينة .

أبتكر الفنان المسلم المضلعات النجمية التي أصبحت فيما بعد من أهم عناصر الزخرفة الاسلامية ، وقد استحدثها الفنان المسلم من تداخل خطوط المربعات أو المثلثات أو الاثنين معاً لتكون شكلاً نجمياً تتراوح رؤوسه ما بين (5-12) رأساً ، بيد أن الشكل النجمي ذا الرؤوس الثمانية قد شاع بشكل كبير حتى عد هذا الشكل شكلاً اسلامياً .

واستعملت التراكيب الهندسية النجمية في التحف المعدنية والخشبية فضلاً عن تزيين واجهات النوافذ وتذهيب المصاحف والكتب وزخرفة السقوف .

3. العناصر الحيوانية (زخارف الكائنات الحية) :

عمد الفنان المسلم الى رسم الكائنات الحية في الزخارف ليس لذاتها وانما ليتخذ منها عناصراً زخرفية ينفذها ويحورها لتحقيق غرض جمالي ليس غير ، وكثير ما ظهرت الكائنات الحية كالطيور مثلاً في الزخارف الاسلامية بشكل متقابل أو متدابّر أو صورة

حيوان يقتض على طائر آخر أو مناظر للصيد ، كما رسمت على الأواني الخزفية أو المعدنية ، كما عمد الفنان المسلم الى استخدام حيوانات أسطورية في بعض زخارفه .

4. العناصر الكتابية (الزخارف الكتابية) :

وهي زخارف تعتمد على الكتابة كعنصر اساسي ، اذ يعتبر الخط العربي بما يمتلكه من خصائص عنصراً هاماً في الزخرفة ، عمد الفنان المسلم الى استغلال تلك الخصائص الأمر الذي جعل الخط العربي بحد ذاته عنصراً زخرفياً لوحده يمكن أن يؤدي دوراً فنياً وجمالياً .

استعمل كل من الخط الكوفي وخط النسخ على نطاق واسع في الزخارف الكتابية في جميع أرجاء الدولة الاسلامية .

وينسب الخط الكوفي الى مدينة الكوفة في العراق ، وهو خط يمتاز بشكله الهندسي ذي الزوايا القائمة الذي يعتمد عليها بشكل كبير ، وقد عمد الفنان المسلم الى كسر ما يولده شكله الهندسي من جمود بأن استعمل معه زخارف خاصة النباتية مستغلاً بذلك ما يوفره من خصائص متعلقة بطبيعة هذا النوع من الخط ، وقد انتشر هذا الخط وما يمكن أن يلحق به من زخارف خاصة النباتية في جميع أرجاء الدولة الاسلامية ، وقد استعمل في كتابة المصاحف وعلى العمائر خاصة المساجد وشواهد القبور .

أضيفت للخط الكوفي معدة إضافات واستعمل على نطاق واسع مع هذه الإضافات الأمر الذي جعل للخط الكوفي أكثر من (50) نوعاً .

أما خط النسخ فهو يمتاز بالليونة والتدوير الأمر الذي جعل الفنان المسلم يستغل صفاته لغرض زخرفي ، وهناك زخارف استندت أساساً الى هذا النوع في الخط على شكل طائر أو حيوان أو سفينة أو كشكل الطغراء ، وقد أبدع الخطاطون في زمن السلاطين العثمانيين في هذا النوع من الفنون ، اذ كانت لكل سلطان طغراء خاصة بع تستخدم كختم أو توقيع للسلطان ، كما كانت ترسم على البوابات وعلى دوائر الدولة العثمانية كما استعملها قبلهم السلاجقة .

مظاهر العمارة الاسلامية (العناصر المعمارية الاسلامية) :

هناك عدة مظاهر أو عناصر للعمارة الإسلامية ، وسنتطرق الى ست منها بشكل موجز ، وهي (العقود ، الاعمدة ، والتيجان ، والمآذن ، القباب ، المحراب ، المداخل).

*** العقود :**

تعد العقود من العناصر المعمارية المهمة في العمارة الإسلامية ، وقد استعمل المعماريون المسلمون عدة أنواع منها بعضها تم ابتكاره من قبل المسلمين ، والبعض الآخر استعملوه معروفاً من قبل الاسلام ، وكما يأتي :

1. عقد شبيه بحذوة الحصان ، وقد استعمل في المعمار في بلاد الشام والمغرب .
2. العقد المدبب ، وهو ابتكار اسلامي وهو على نوعيت ، الأول : عقد مدبب ذو أربعة مراكز وقد استعمل في الرقة وباب بغداد والأخضر ، والثاني : عقد مدبب ذو مركزين وقد استعمل في جامع أبي دلف .
3. العقد المفصص ، وهو عقد ناشئ من مجموعة أقواس متتالية ، وقد استعمل في نوافذ الجامع الكبير في سامراء في العصر العباسي .
4. عقد تزين باطنه مقرنصات ، وقد استعمل هذا النوع من العقود في الأبنية في المغرب العربي وفي الأندلس .

*** الاعمدة والتيجان :**

استعمل المسلمون في العصور الاولى اعمدة أخذوها من المباني القديمة المهتمة ، بيد أنهم في العصور اللاحقة استعملوا أعمدة ابتكروها في المباني التي قام بتشييدها وهي على أنواع :

- الاعمدة الاسطوانية ، وقد استعملت في جامع ابن طولون .
 - الاعمدة مضلعة تضليعاً حلزونياً ، وقد انتشرت في مصر في عصر السلطان قاتيباي وكانت اضلاعها تزينها زخارف نباتية .
 - الاعمدة المثمنة .
 - ابتكر المسلمون ما يعرف بـ(الدعامة) واستخدمت لأول مرة في قبة الصخرة وفي الجامع الأموي وفي الاخضر .
 - في زمن العثمانيين استخدموا اعمدة ذات تقوير متعرج أو على شكل معينات.
 - في ايران استعملت أعمدة من الخشب المذهب ومزينة بمرابيا مقطوعة .
- أما تيجان الاعمدة فكانت على أنواع منها :

- تيجان ذات اشكال بصلية .
- تيجان مزينة بالمقرنصات .
- تيجان تشبه الزهرة المنفتحة تتصل بها من الاسفل أوراق نباتية .
- تاج كأسى أو ناقوسي مثلما استعمل في قصر الجوسق بسامراء .

* المآذن :

تعد عنصراً معمارياً اسلامياً كونها ترتبط بشكل مباشر ووظيفي بإقامة الآذان والدعوة للصلاة ، وفي عهد الرسول ﷺ كانت المساجد بلا مآذن ، ومن أهم أنواع المآذن :

- مآذن مستديرة (اسطوانية) في العصر الأموي المبكر .
- مآذن مربعة كما في بلاد الشام .
- مآذن اسطوانية كانت تقوم على قاعدة مربعة في العراق .
- مآذن حلزونية استعملت في الجامع الكبير وجامع أبي دلف في سامراء .
- مآذن مثمثة استعملت في شتى بقاع العالم الاسلامي .
- في مصر في العهد الفاطمي استعملت المآذن الآتية : مآذن مربعة - مآذن مثمثة - مآذن اسطوانية .
- مآذن ذات رؤوس مزدوجة ، في القرن العاشر الميلادي ، وفي القرن الرابع عشر الميلادي في الجامع الأزهر .
- في الحجاز شيدت على الطراز المملوكي ثم الطراز العثماني .
- وفي القرن الخامس عشر الميلادي أصبح لأغلب المساجد في إيران مآذنتين .
- في الطراز العثماني ، مآذن ممشوقة طويلة مدببة اسطوانية أو مضلعة ، وبأعداد كبيرة فمثلاً (6) مآذن في جامع السلطان احمد باسطنبول .

* القباب :

- تعد من أهم العناصر المعمارية الإسلامية ، وقد استعملت في المساجد والأضرحة .
- في العراق أقدم القباب ، استعملت في الاخضر المعروفة ب(قبة الاخضر) ، وهي على شكل نصف كرة ، والقبة البيضوية في سامراء (القبة الصليبية) .
 - في المغرب أقدم القباب هي قبة المحراب في جامع القيروان في تونس ، وفي مصر قبة مسجد الحاكم بأمر الله الفاطمي ، وهي ذات صلة بالقباب التي استعملت في المغرب العربي .

- في مصر أصبحت لاحقاً مضلعة (كروية مضلعة) ، قبة مسجد السيدة رقية .
- في العصر السلجوقي أصبحت القباب مخروطية مقرنصة في الداخل .
- في العصر المغولي ، القباب البيضوية والبصلية ذات العنق القصير .
- في العهد العثماني ، القباب نصف كروية كبيرة يحيط بها عدد من القباب الصغيرة في نفس المبنى .

استعمل في تزيين القباب الإسلامية من الداخل والخارج ما يأتي :

1. زخارف نباتية .
2. كتابات من الخط العربي الكوفي أو الثلث .
3. ألواح من البلاط المزجج تغطي بها القباب .

* المحراب :

هو ابتكار معماري إسلامي استعمل لتعيين اتجاه القبلة وإقامة الصلاة عليه وقد كان كالاتي :

- هو تجويف من الداخل في بطن الجدار باتجاه القبلة ليؤشر الاتجاه الذي يتجه اليه المصلون .
- المحراب المجوف ، قبة داخل الجدار ، في العراق وبلاد الشام والمغرب .
- المسطح ، محراب مسطح محاط بتقوس وزخارف نباتية وهندسية وكتابات قرآنية ، محراب المغارة في قبة الصخرة .

* المداخل :

عنصر معماري اسلامي :

- ان أبواب المساجد توضع بمدخل عميقة وعالية .
- قمة المداخل ربع كرة محمولة على مقرنصات .
- أبواب هذه المداخل تصنع من الخشب المزخرف بزخارف دقيقة ، أو من الخشب المصفح بالنحاس فيه زخارف هندسية اسلامية نباتية وهندسية .

النحت في العصور الإسلامية :

نظراً لانصراف الفنان المسلم عن تصوير الكائنات الحية سواء في الرسم أو النحت واتجاهه نحو الزخرفة التي كانت تحفر نحتاً بارزاً على الحجر والجص والمرمر والخشب

التي كانت تزين العمائر الدينية والمدنية على حد سواء في العصر الأموي والعصر العباسي ، فضلاً عن تزيينها لتيجان الأعمدة والمحاريب .

* النحت في العصر الأموي :

ظهر استعمال النحت في العمائر الأموية بشكل خاص في القصور ، إذ عمدوا الى بناء قصور فخمة مستعملين فيها مختلف مجالات الفنون عامة والنحت لزخارف اسلامية بشكل خاص باستعمال الحفر للارضية ، وتظهر الكتابة بارزة ، فضلاً عن زخارفها الجصية البارزة ولاشكال نباتية وهندسية وحيوانية وطيور مع تغطية السقوف لعناصر زخرفية منحوتة نحتاً بارزاً تمثل رؤوس آدمية وأوراق الاكانتس وأوراق العنب وعناقيد و أنصاف مرواح نخيلية تعد مثلاً لعبقرية الفنان العربي المسلم .

وفي قبة الصخرة هناك زخارف رخامية مرتبة على شكل اشربة تزين الوجه الداخلي للجدران الخارجية لونها ذهبي على أرضية سوداء تمثلها مجموعة من الأشكال النباتية ، وهناك لوحان من الرخام تزين كل منها زخارف محفورة .

* النحت في العصر العباسي :

بقيت أساليب النحت السائدة في العصر الأموي كما هي في العصر العباسي ، حتى بنى المعتصم مدينة سامراء واتخذها عاصمة له ، إذ بنى فيها الجامع الكبير وقصره المعروف بـ(الجوسق الخاقاني) ، اذ عمد الى تزيينها بمختلف أنواع الزخارف الإسلامية المحفورة بشكل بارز ، ويرى علماء الآثار أن زخارف سامراء يمكن تقسيمها الى ثلاث طرز :

الاول : استخدمت فيه زخارف جصية تقوم على الأشكال النباتية فقط والمتمثلة بأوراق العنب وعناقيد ورسمت بشكل تجريدي ، وهذا الطراز يشبه الى حد كبير بأسلوب زخارفه من الزخارف الجصية التي اكتشفت في الحيرة .

الثاني : وفيه تختفي ورقة العنب والعناقيد وتتحول الى عناصر زخرفية ذات حجم كبير ونمط جديد لا علاقة له بالأصل الذي تطورت عنه ، والملاحظ أنه ظهرت زخارف فيها الوحدات الزخرفية منفصلة بعضها عن البعض الآخر .

الثالث : إن زخارف الطراز صنعت باستعمال القوالب باستثناء بعض الحدود البسيطة كما لوحظ عدم الفصل بين العناصر الزخرفية وإنما جعل وحدات الزخرفة تتكرر بالتبادل وبشكل لا نهائي .

* النحت في الاندلس :

في جامع مدينة قرطبة يوجد محراب عملت على جانبيه زخارف نباتية حفرت حفرًا دقيقاً فضلاً عن وجود زخارف محفورة بالجص على بعض أعمدة الجامع ، والملاحظ أنها متأثرة بشكل كبير بزخارف سامراء ، كما توجد هناك بعض الأحواض من الرخام زخارف مكونة من كتابات واشكال نباتية وزهور محورة عن الطبيعة ورسوم لطيور وحيوانات متقابلة وأخرى مجتمعة .

وفي عصر ملوك الطوائف تطور النحت وامتاز بأن الحفر كان دقيقاً وأن موضوعاته كانت متنوعة واستخدمت المراوح التخيلية والأشكال الهندسية ، كما أن بعض ملوك الطوائف عمدوا الى وضع تماثيل بشرية في حدائق القصور الخاصة بهم.